لا ازعم انه ابتلاني وقد عافاني وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي
وكان يشبب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج قال والله ايها الامير ان قلت خيرا
انما قلت ❊ يخبئن اطراف البنان من التقى ❊ ويخرجن شطر الليل معتجرات ❊
قال فاخبرني عن قولك
❊ ولما رأت ركب النميري اعرضت ❊ وكن من ان يلقينه حذرات ❊
ما كنتم قال كنت على حمار هزيل ومعي صاحب لي على اتان مثله فخفي عنه وذكوان بلال بن
ابي بردة بن موسى الاشعري كان في حبس الحجاج وكان يعذبه وكان كل من مات
في الحبس رفع خبره الى الحجاج فيامر باخراجه وتسليمه الى اهله فقال بلال للسجان خذ
مني عشرة الاف درهم واخرج اسمي اني مت فاذا امرك بتسليمي الى اهلي هربت في
الارض فلم يعرف الحجاج خبري وان شئت ان تهرب معي فافعل وعلي غناك ابدا فاخذ
السجان المال ورفع اسمه في الموتى فقال الحجاج مثل هذا لا يخرج الى اهله حتى اراه
هاته فعاد الى بلال فقال اعهد قال وما الخبر فقال ان الحجاج قال كيت وكيت فان لم
احضره ميتا قتلني وعلم اني اردت الحيلة عليه فلا بد ان اقتلك خنقا فبكى بلال
وساله ان لا يفعل فقال ما الى ذلك طريق فاوصى وصلى فاخذ السجان وخنقه واخرجه
الى الحجاج فلما راه ميتا قال سلمه الى اهله فاخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة الاف درهم
ورجعت الحيلة عليه ولما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فامر الحجاج
بالناس فجمعوا الى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا اهل مكة بلغني بكاؤكم واسفكم
واستعظامكم قتل عبد الله بن الزبير الا وان ابن الزبير كان من خيار هذه الامة حتى رغب في
الخلافة ونازع فيها اهلها فخلع طاعة الله تعالى واستكن بحرم الله ولو كان شيئا مانعا
للقضا لمنعت ادم حرمة الجنة لان الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد
له ملائكته واباح جنته فلما عصى اخرجه من الجنة بخطيئته وادم اكرم على الله من ابن
الزبير والجنة اعظم حرمة من الكعبة فاذكروا الله يذكركم ونزل قال مالك بن دينار
رضي الله عنه ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع به اهل العراق وما صنع بهم فيقع في
نفسي انهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه بالحجج قال القاضي المعافى حدث الزبير بن بكار
عن الزهري قال لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر
ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقربه في المنزلة فلم يزل على حاله حتى خرج الى عبد الملك
بن مروان زائرا له فخرج معه فعادله لا يترك في بره وجلالته وتعظيمه شيئا الا فعله
فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه فدخل على عبد الملك فلم يبدأ بشيء بعد السلام
الا ان قال قدمت عليك يا امير المؤمنين برجل الحجاز لم ادع له فيها نظيرا في كمال المروءة
والادب والرياسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة
ووجوب الحق ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقد احضرته بابك ليسهل عليه اذنك و
تلقاه ببشرك وتفعل به ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه فقال عبد الملك ذكرتنا
حقا واجبا ورحما قريبة يا غلام ائذن لابراهيم بن طلحة فلما دخل قربه حتى اجلسه على فراشه

ثم

ثم قال له يا ابن طلحة ان ابا محمد اذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الادب والفضل وحسن
المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق فلا تدع حاجة من خاص امرك وعامة الا ذكرتها
فقال يا امير المؤمنين ان اولى الامور ان تفتتح بها الحوائج وترجى بها الزلفى
ما كان لله عز وجل رضى ولحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اداء ولك فيه وللجماعة
المسلمين نصيحة وان عندي نصيحة لا اجد بدا من ذكرها ولا يكون البوح بها الا وانا
خال فاخلني ترد عليك نصيحتي قال دون ابي محمد قال نعم قال قم يا حجاج فلما جاوز الستر
قال قل يا ابن طلحة نصيحتك فقال الله الله يا امير المؤمنين انك عمدت الى الحجاج
مع تغطرسه وتعترسه وتعجرفه وبعده عن الحق وركونه الى الباطل فوليته الحرمين
وفيهما من فيهما وبهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالي المنتسبة الاخيار اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابناء الصحابة يسومهم الخسف ويقودهم العسف ويحكم
فيهم بغير السنة ويطؤهم بطغام من اهل الشام ورعاع لا روية لهم في اقامة حق ولا
في ازاحة باطل ثم ظننت ان ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخلصك اذا جاثاك للخصومة في امته اما والله لا تنجو هناك الا بحجة تضمن
لك النجاة فابق على نفسك او دع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم
مسؤول عن رعيته فاستوى عبد الملك جالسا وكان متكئا فقال كذبت لعمر الله ومنت
ولؤمت فيما جئت به قد ظن بك الحجاج ما لم يجده فيك وربما ظن الخير بغير اهله قم فانت
الكاذب المائن الحاسد قال فقمت والله ما ابصر طريقا فلما جاوزت الستر لحقني لاحق من قبله
فقال للحاجب احبس هذا فادخل يا ابا محمد فلبثت مليا لا اشك انهما في امري ثم خرج الاذن
فقال قم يا ابن طلحة فادخل فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وانا داخل وهو خارج واعتنقني
وقبل بين عيني ثم قال اذا جزى الله المتاحبين بتواصلهما خيرا فجزاك الله افضل ما جزى
اخا فوالله لئن سلمت لك لارفعن ناصرك ولاعلين كعبك ولاتبعن الرجال غبار قدمك قال
فقلت يهزأ بي فلما وصلت الى عبد الملك ادناني حتى اجلسني في مجلسي الاول ثم قال يا ابن
طلحة لعل احدا شاركك في نصيحتك قال قلت لا والله ولا اعلم احدا كان اظهر عندي
معروفا ولا اوضح يدا من الحجاج ولو كنت محابيا احدا بديني لكان هو ولكني اثرت الله عز
وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فقال قد علمت انك اثرت الله
عز وجل ولو اردت الدنيا لكان لك في الحجاج امل وقد ازلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت
من ولايته عليهما واعلمته انك استنزلتني له عنهما استصغارا ووليته العراقين لما
هناك من الامور التي لا يرحضها الا مثله واعلمته انك استدعيتني الى التولية له عليهما
استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني اليك اجر نصيحتك فاخرج معه فانك غير
ذام صحبته مع تقريظه اياك ويدك عنده قال فخرجت من عنده على هذه الجملة ووفد الحجاج
على الوليد بن عبد الملك في خلافته فوجده في بعض نزهة فاستقبله فلما راه ترجل
له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية فقال له الوليد اركب
يا ابا محمد فقال يا امير المؤمنين دعني استكثر من الجهاد فان ابن الزبير وابن الاشعث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)